الجزء الخامس – الخطبة رقم ١٨

الخطبة الأولى

إ ن الحمد لله ... أما بعد:

لقد بعث الله رسله، وأنزل كتبه، لهداية الناس إلى طريق الحق والرشاد، وكفهم عن طرق الردى والضلال، فوظيفة إصلاح حال الناس والسعي في هدايتهم هي الوظيفة التي قام بها الرسل، عليهم صلوات الله وسلامه، دعوا أقوامهم، ومحضوا النصح لهم، ولم يتوانوا طرفة عين عن دعوتهم، بلغوا رسالات ربهم، وأدوا ما حملوا من الأمانة على أكمل وجه، وأوضح برهان، وهذا كتاب ربنا بين أيدينا يقص علينا أخبار أولئك المصطفين الأخيار ومع رفعة منزلتهم عارضهم أقوامهم وناصبوهم العداء، فلم يثنهم ذلك عن دعوة ربهم؛ بل صبروا وصابروا، وجاهدوا في الله حق جهاده.

معاشر المسلمين: قامت تلك الثلة المباركة من أنبياء الله ورسله بواجبهم تجاه أقوامهم، وكان خير أولئك الركب المبارك نبينا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم؛ قام صلى الله عليه وسلم بدعوة قومه كما قام إخوانه من قبل، جعله الله تعالى رحمة للعالمين:"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" استنارت به الأرض بعد ظلمتها، واهتدت به البشرية بعد حيرتها، أوذي في الله تعالى، وعذب، وأسمعوه سيء اللفظ ورديئه :"وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه" "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها" ومرة قالوا:"ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق" "تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم" نبزوه وهمزوه ولمزوه، فمرة: شاعر، ومرة: كاهن، ومرة: مجنون، شجوا رأسه، وكسروا رباعيته، ومع هذا كله: صبر وصابر، تحمل ما أصابه، حتى بلغ دعوة ربه أتم بلاغ، وأوضحها أكمل إيضاح، فصلوات الله وسلامه عليه، وجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

معاشر المسلمين: عوداً على بدء: لما كان طريق الإصلاح وظيفة الأنبياء والرسل، كان لزاماً على من أراد سلوك هذا السبيل: يكون على بينة من الأمر

وبصيرة "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" على بصيرة فيما يأمر به، وعلى بصيرة فيما ينهى عنه "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين"؛ فيا من أراد الإصلاح، يا شباب الإسلام، يا من نذر نفسه لدعوة الناس إلى الخير، يا من أراد السير في ركاب المصلحين: لتكن دعوتكم للناس على بصيرة، واعلموا أن العمل لا يكون على بصيرة إلا إذا كان الداعية على علم شرعي في دعوته، فبذلك العلم يأمر وينهى، وبذلك العلم يغضب ويرضى.

يا دعاة الإصلاح: إن أعظم ما يعيق – بل يوقف- عملية الإصلاح: إقدام من يريد الإصلاح على ذلك بلا علم، يدفعه في ذلك غيرته وعاطفته، وهذا وإن كان دافعه حب نشر الخير ودرء الشر، إلا أن ذلك المقصد لا يشفع له في تبرير صحة عمله، فقد يترتب على تصرفه فساد وإفساد بسبب بعده عن المنهج العلمي؛ فكم ذاقت بعض المجتمعات من ويلات ونكبات، وكم تعطلت كثير من سبل الخير، بسبب تصرفات عارية عن العلم الشرعي، وبعد عن منهج سلف الأمة، وإذا كان ذلك كذلك ، فعلى من أراد الإصلاح أن يكون في إصلاحه على منهج علمي مستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، على فهم سلف الأمة.

يا معشر شباب الإسلام؛ إن الدعوة بلا علم تزيد الجرح ألماً، بل تجلب الإثم إلى الداعي والمدعوين؛ فكونوا معشر الدعاة على حذر من التقول بلا علم لأن الضرر يتعدى وتسري جنايته. أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"كان ممن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلوه على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقبضته ملائكة الرحمة" فانظروا – يا رعاكم الله – كيف أن الأول جمع بين ثلاث خطيئات: قول على الله بلا علم، ثم تسبب في قتل نفسه، ثم زاد إثم المستفتي. أما

الثاني فقد تكلم بعلم، ففتح باب الأمل أمام القاتل، وعلمه ما يدفع الشر به عن نفسه، فأمره بمفارقة أصحاب السوء، ثم كان عاقبة أمره خيراً، فاحرص يا من أراد الإصلاح على السير في درب العلم، وسؤال أهل العلم، فقد تعبدنا الله تعالى بسؤال أهل العلم عما يشكل علينا "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فبسؤال أهل العلم يزول الإشكال، وتنجلي الغمة، ويكون العامل على بصيرة في عمله ودعوته. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:(يعرض للسالك معاطب ومهالك لا ينجيه منها إلا بصيرة العلم).

معاشر شباب الإسلام ودعاة الخير: عليكم بالإخلاص في العمل فالإخلاص لله تعالى بعلم هو أساس الأمر، وهو القاعدة والمنطلق التي بصلاحها يصلح شأن المرء وعمله، وبفسادها يفسد شأن المرء وعمله، ولعظم شأن الإخلاص جاء الأمر بالتأكيد عليه في آيات كثيرة :"وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" "إنا أنزلنا إليك الكتاب فاعبد الله مخلصاً له الدين" "وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون" "فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون" فبالإخلاص يبارك الله للعامل في عمله، ويزيد في توفيقه وتأييده، ولذا ذكر غير واحد من أهل العلم: أن بعض الناصحين ممن عندهم يسير من العلم، يبارك الله في جهودهم، وينفع بدعوتهم، ويؤثر نصحهم بعلم في نفوس المدعوين أبلغ تأثير، وهذا من ثمار الإخلاص، فعلى الداعية إلى سبيل الخير أن يدعو الله تعالى بأن يرزقه الإخلاص في جميع الشؤون، وإن نازعته نفسه في ذلك، وجنحت به عن طريق الإخلاص، فليجاهدها، وليصدق في جهاده لها، وسيرى من الله تعالى ما تقر به عينه ويشرح صدره "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين". قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى- :(من عود نفسه العمل لله لم يكن أشق عليه من العمل لغيره، ومن عود نفسه العمل لهواه وحظه، لم يكن أشق عليه من الإخلاص والعمل لله).

معاشر شباب الإسلام: إياكم وانتظار ثناء المثنين أو مدح المادحين؛ فبعض الناس إذا قل مدحه قل عطاؤه، بل وإذا كثر مدحه كثر عطاؤه، وهذه صفة ذم لا خير فيها، قال علي رضي الله عنه:(من علامات المرائي أنه ينشط إذا كان في الناس

ويكسل إذا كان وحده، فإذا رآه الناس وأثنوا عليه نشط في أمره، أما إذا لم يكن هناك من يراه ويثني عليه فلا نشاط ولا عمل وإن عمل قل عمله).

اللهم إنا نعوذ بك من الرياء والسمعة... أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

معاشر المصلحين: إن مسألة الدعاء والضراعة إلى الله مما يغفل عن أهميته بعض المصلحين، وهذا من القصور والخلل في مسيرة الإصلاح؛ فإن للدعاء أثراً عظيماً على نفس الداعي والمدعوين؛ فاضرع إلى الله تعالى داعي الإصلاح، وألح عليه وادعه وأنت موقن بالإجابة، وسترى من ربك ما يسرك ويشرح صدرك وتقر به عينك.

معاشر شباب الإسلام ودعاة الخير: إن دعوة الخير ليست موقوفة على رؤية النتائج وتعليق النجاح بذلك، وبيان ذلك أن كثيراً من دعاة الإصلاح يحرصون على رؤية النتائج الإيجابية، ويهتمون بذلك كثيراً ويعلقون على ذلك الآمال والآمال، فإذا ما طال عليهم الأمد، ولم تتضح رؤية لهم رؤية النتائج بعد، دب إلى نفوسهم شيء من الضعف، وما يزال ذلك الضعف يزيد بهم على تقادم الأيام حتى يصاب بعضهم بالإحباط والتقاعس، بل قد يصل الحال ببعضهم إلى ردة فعل منعكسة، وهذا من الخلل في المنهج الدعوي.

يا معاشر شباب الإسلام ودعاته: ليس الداعية مكلفاً برؤية النتائج، وليس من ضرورة دعوته – أو من أسباب نجاحها- أن يرى نتائجها؛ بل عليه أن يبذل قصارى جهده في دعوة الناس إلى الخير، فإن قرت عينه برؤية ثمار دعوته فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى وتأخر قطف الثمر، فهو في خير، وعلى خير، وإلى خير.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المقاصد

وقيل هذا كله ليجعل الداعية نصب عينيه أولئك الكرام البررة من أنبياء الله عليهم السلام :"فهل على الرسل إلا البلاغ المبين" "وما على الرسول إلا البلاغ المبين" "أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم" "أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين" "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك"

معاشر شباب الإسلام: ولم يقف الأمر عند هذا، بل جاءت نصوص مؤكدة على استمرار الداعي في دعوته، حتى ولو أعرض المدعوون، فوظيفة الداعية البلاغ، وليس من وظيفته أن يرى ثمار دعوته؛ فيا دعاة الخير: شمروا عن ساعد الجد، واجتهدوا في نشر الخير، فإن تقبل منكم فلكم ولهم، وإن أعرضوا فلكم وعليهم، فأنتم مأجورون في الحالين :"وإن تولوا فإنما عليك البلاغ" "فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا" "فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين" "فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي" "فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم" "وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ".

معاشر شباب الإسلام: ومن الشواهد على ما سبق: ما أخرجه الإمام مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد..." إلى آخر الحديث، والشاهد منه: ما ذكر هنا من كون بعض الأنبياء عليهم السلام لم يتبعهم إلا رجل أو رجلان؛ بل إن بعضهم لم يتبعه أحد.

فيا شباب الإسلام ويا دعاة الخير: إذا كان هذا النبي الكريم الذي أيد بالوحي، لم يستجب أحد لدعوته، ومع ذلك لم يفتر عزمه، بل استمر في تبليغ رسالة الله؛ طاعة لربه، وبراءة لذمته، ونصحاً لأمته، إذا كان ذلك كذلك، فأين أولئك الذين يخذلون أنفسهم ويخذلون غيرهم عند قلة المستجيبين. فعليكم معاشر شباب الإسلام بالمواصلة في نشر الخير، والحذر الحذر من تلبيس إبليس عند قلة المستجيبين.

شباب الإسلام: الزموا كبار علمائكم وبخاصة عند حلول النوازل، واقرؤا في كتب سلف الأمة ففيها الخير والبركة، فكلها مبنية على آية أو حديث على ضوء

سير منهج دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة أصحابه من بعده ومن سار على نهجهم.

شباب الإسلام: إياكم ومن حذركم من منهج سلفكم أو رماه بالتقصير وعدم الشمولية، فوالله إن هذا من الجهل أو الهوى، ولا يجني جان إلا على نفسه.

شباب الإسلام: استشعروا مسئوليتكم وحاسبوا أنفسكم، وإياكم والتفريط في أعمالكم؛ فكم شكى كثير منكم سنين ضاعت من عمره لم يستفد منها شيئاً مذكورًا، ولا شك أن هذا من الغبن والتفريط، وانظروا شباب الإسلام في أقرانكم ممن استغل أوقاته وتبصر في منهج دعوته للناس كيف أصلح الله أمره ونفع بدعوته، فالله شباب الإسلام في المحاسبة لأنفسكم وفي بر والديكم وفي توقير علمائكم، كونوا قدوة خير في التبكير إلى الجمعة والجماعة وفي صلة الرحم والجوار وفي كل خير تقدرون عليه ترون من الله ما يسركم...